المزارعون والأرض
تاريخ قريتي في السياق العالمي

BAUERN, LAND

Die Geschichte meines Dorfes im Weltzusammenhang

تأليف: أوتا روجه (Uta Ruge)

ترجمة: د. عبد السلام حيدر

المحتويات

1. بدايات

1. **اليوم**: الحالة المزاجية في مزرعة أخي 15
2. **آنذاك**: لماذا بحث مزارع المدينة عن مزرعة؟ الوصول إلى نهاية العالم. قانون مزارعي المستنقعات 24
3. **منتصف القرن الثامن عشر**: ماذا يقول دفتر المدرسة وما يخفيه. لمن المستنقع؟ قاطع لبطموس المستنقعات[1] في هولندا 32
4. **آنذاك**: الاسطبل يصبح كنيسة، ثم قاعة للرقص. كيف يمكن للمرء في الشتاء الوصول إلى أي مكان على الزلاجات 36
5. **القرن الثامن عشر**: كيف فكر جوته في المزارعين؟ ولماذا وجب تأليف كتاب عن الزراعة الإنجليزية. طبيب من مدينة تسيلا يصبح مزارعًا نموذجيًا 44
6. **نهاية القرن الثامن عشر**: بروتوكولات مؤتمرات المستنقعات تسافر إلى لندن بعربة تجرها الخيول. المزارعون الأوائل، التسميد بالرماد وبذر الحنطة السوداء 51
7. **آنذاك**: عندما حاولت أمي زرع البنجر 59
8. **اليوم**: أغني وآنة أغنية من عام 1783. صورة جميلة ومشوهة عن البلد. لماذا يتعجب خبراء الذئاب 61
9. **القرنان الثامن عشر والتاسع عشر**: كيفية استخدام بطموس المستنقعات لبناء الأساسات وجعل المنازل تطفو 69.
10. **نهاية القرن الثامن عشر**: تصوير إيكرمان لجوته عندما كان طفلاً. مدرسة القرية والنزاع على مواقع الكنيسة لمزارعي المستنقعات 74
11. **آنذاك**: عمل الأطفال وأحلامهم. ما تعلمناه بالجسد، وكون هذا العمل لابد من القيام به 81
12. **آنذاك**: كيف تعرف والدينا على جيران المستنقعات 87

فاصل أول: لماذا أشاد فيرجيل بحياة الريف على البرسيم الأخضر، ولماذا صدقه يوهان هاينريش فوس. كيف فقد العالم القديم مركزه 92

[1] يقصد بالبطموس النباتات التي تعفنت في المستنقعات والمناطق الرطبة وتحولت عبر سنين طويلة إلى ما يشبه الفحم لذا تقطع على شكل القوالب الطينية وتترك لتجف ثم تستخدم كفحم (المترجم).

2. التعمق في المستنقع وفي التاريخ

13. **اليوم**: عندما تُفسد أسعار الحليب والأراضي المزاج 103

14. **1783**: ما يزعج المسؤولين بشأن المزارعين الجدد في قرية (باخنبروخر مور) - مراسلات حول بعض المضايقات والتهديدات غير المبررة 108

15. **القرن الثامن عشر**: أسرة لافرنتس في دفتر الكنيسة. يوهان هاينريش فوس يحث على أول تطعيم ضد الجدري في منطقة هادلن 114

16. **اليوم**: أثناء زراعة الذرة خبرني أخي شيئًا عن البيئة الحيوية واستهلاك التربة. أقود الجرار مرة أخرى، لكن عبر قرية فارغة 118

17. **1803**: عن شن الحرب. جنود منطقة هادلن سيئون؛ لأن الطعام وطريقة الحياة في الجيش تجعلهم يمرضون في غضون أيام قليلة 127

18. **بداية القرن الثامن عشر**: عندما وصل قانون نابليون المدني إلى أراضي المستنقعات واضطر مزارعو لافرينس إلى الانتقال مع نابليون إلى روسيا 132

19. **اليوم**: القيادة في صوامع تحت المطر والعمل في الحظيرة ليلاً. فالديمار يقودني عبر مستنقع البطموس 135

20. **آنذاك**: ما تعلمناه في المدرسة وما في الطريق إلى هناك 150

فاصل ثاني: لماذا ألغى شارلمان الفلاحين الأحرار. عن جسد الفلاحين وعن أعدائهم 159

3. الصرف - التحسين

21. **آنذاك**: التفاح والخوخ في البالوعة 171

22. **بداية القرن التاسع عشر**: بطء نمو مستعمرة المستنقعات بسبب: الحصار القاري النابليوني، وثوران بركان إندونيسي وعاصفة بحرية عارمة 175

23. **آنذاك**: اذهب، واجلب، واحضر - طرق مع الأبقار 185.

24. **القرن التاسع عشر**: القوى المنتجة تدفع باتجاه التحديث: الإصلاح الزراعي البروسي، الأسمدة الجديدة، والآلات الجديدة 189

25. **اليوم**: ما هي الشركة الكبيرة اليوم؟ الحليب والفاصوليا وخمسة وعشرون عشًا للسنونو 198

26. **اليوم**: الذرة ترفع الراية - وتنتج أكسجين أكثر من الغابات المتساقطة الأوراق 205

27. **اليوم وآنذاك**: طفل يطير في الهواء. كيف تتذكر البداية والزيارات 213

28. **القرن التاسع عشر**: أمريكا: حيث يوجد خبز يكون الوطن. بسمارك وتحرير الفلاحين. أهل "نوبياخنبروخ" دون خيول؟ رعاة البقر، أماكن الذبح، وأبواب على عجل/ودولاب التبريد 220

29. **اليوم**: حصاد الذرة. رقصة الجرار في أكتوبر 234.

30. **اليوم وآنذاك**: ذكريات عن عمال المزارع. والصبايا والأمريكيين. قبعة في المستنقع 244

31. **نهاية القرن التاسع عشر واليوم**: جريدة "للحقيقة والنور والحق". بناء القناة التاريخي وما يحكيه عامل الهويس 249

فاصل ثالث: من بروغل إلى فوربسفيدا، الرومانسية بدلاً من الأسمدة. ما كان يبحث عنه فلاح منطقة ألميرز في المدينة 257

4. الأسواق العالمية والحروب العالمية

32. **آنذاك**: بالحافلة إلى المدرسة 267.

33. **بداية القرن العشرين**: "غروت-إيما" وأسعار السوق العالمية، كبار المزارعين في الولايات المتحدة وروسيا 270

34. **1914 – 1918**: عن الحرب والثورة وغلاء القمح. التضخم في ألمانيا 286

35. **اليوم**: تذكير بالأضرار. تقليم الحوافر اليوم 295

36. **1918**: غروت-إيما وبيرتا وهيلدا يعشن جمهورية فايمار 301

37. **1920 – 1930**: المزارع الجماعية وأصحاب الأطيان، ملك القمح الأمريكي والصورة النازية للمزارعين 311.

38. **آنذاك واليوم**: حفيد غروت-إيما يحكي لي شيئًا عن الذئاب، وكاديلاك تقابلني مرتين في منطقة المستنقعات 320.

39. **1933 – 1939**: مبدأ القائد يسري على المزارعين، من مزارعي مستنقعات لأصحاب مزارع وراثية 332

40. 1939 – 1945: الاقتصاد الزراعي يصبح اقتصاد حرب. عمال سخرة ومخبرين 345

41. **اليوم**: زيارة لوسي وذكرياتي عن العجائز 352

42. **آنذاك**: كتل البطموس وقيادة السيارات. أو: إلفيس في القرى 357

43. **الأربعينيات والخمسينيات**: سيكو مانهولت ورفعه لأجر المزارعين. الحق في الأرض وعدمه 365

44. **آنذاك**: تجارة القرية ومدرسة القرية، كوكا كولا، وجرّار، وآلات الحلب 372

45. **الخمسينيات**: بناء طريق - وفي بروكسل تم تنظيم السوق الزراعية المشتركة 379

46. **آنذاك**: الزراعة بالرش في المستنقعات 384
47. **آنذاك**: الحجز على الرهن وبطلة عاملة ليوم واحد 387
48. **السبعينيات**: مانهولت ضد خطته الخاصة. المزارعون يتناقصون والأبقار تتزايد 392
49. **اليوم**: أسعار السوق العالمية أو كيف يصبح الغالي رخيصًا. قضايا الماء بطريقة وأخرى 397
50. **آنذاك واليوم**: ما رأيته أثناء السفر. أول قبورنا في منطقة المستنقعات 404

فاصل رابع: فلاحو ماليفيتش - لا وجوه ولا أيدي. أسعار الحليب ومزرعة مع وصلة مترو أنفاق. لماذا أراد كريشان أن يصبح لاجئًا 411

5. مديح التوقف والمضي قدما

51. ثلاثة مزارعين في طريقهم إلى المستقبل 423
52. الصيف الجاف في سنة 2018. حقول غير خصبة، إصلاح ازدحام مروري، أبقار في قطار معلق 434
53. غاز حيوي وليالي الأجازة على القش. ثلاثون صيفًا لإنقاذ أنقاض بيت فلاحي متداعي، ألعاب الهنود الحمر والخنازير الدنماركية 440
54. غير منفصم لكن تحت ضغط. قليل من احصائيات القرية ومناطق التعويض في الريف 449

خاتمة: حول الخنازير الصغيرة، الناس وإلى أين يقود التقدم 454

الملاحظات 463

مسرد المصطلحات 471

قائمة مختارة من المصادر والمراجع 475

مقدمة

ركضت خلف الأبقار لحلبها، وأطعمت الخنازير ونتفتُ البط. مشيت عبر الفناء ولم أدرِ أنني أُوجد على أرض تاريخية.

وذلك لأن كل أرض تاريخية.

وكل حقل لديه تاريخه أيضًا.

أينما سرت أو وقفت كان قد تم مرة قطع قوالب البطموس وأصبح ما كان مستنقعًا صالحًا للزراعة. تلك الخنادق التي تقافزت عليها يومًا، وهذه القنوات التي مررت بدراجتي على جسورها، لم تحفر إلا قبل مائة سنة أو مائتين. هذه الحقول التي زرعناها بالبطاطس في الربيع، وشدخنا بنجرها في حرارة الصيف، وحصدنا الشَّيْلَم منها في الخريف، لم توجد إلا منذ استعمار أراضي المستنقعات – أي فقط منذ عصر كانط وهيجل وجوتة.

فقط في منتصف القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تم بناء القنوات ومحطات الضخ، فلم تعد الحقول تغرق بمياه الفيضانات، التي كانت تضرب منطقتنا - منطقة "سيتلاند" (Sietland)، وهي الأرض المنخفضة الواقعة بين نهري إلبا وفيسر - في كل موسم تقريبًا. ويحكي كبار السن كيف حملوا التبن ووضعوه على السد ليجف ثم كيف نقلوه بالقارب إلى الحظائر.

أحاول أحيانًا أن أتخيل لو أنني لم أغادر تلك القرية أبدًا.

وصلت إلى هناك عام 1957 بوصفي طفلاً لأبوين من اللاجئين. ماذا لو بقيت هناك مثل أخي، وهو أصغر مني ببضع سنوات فقط. لقد ورث المزرعة كونه ابنًا ذكرًا. في ذلك الوقت لم يعد هذا هو الأمر الطبيعي. لكن كان أمرًا تقليديًا موروثًا. أتذكر ما قاله أبي عندما صرخت سخطًا بأنه ليس من العدل ألا تعرض عليّ المزرعة ولا مرة فقط لأنني فتاة.

فسألني: "هل تريدينها إذن؟"

فأسكتني بذلك.

لم أكن أريدها علنًا.

ولكنني أردتها سرًا.

لكن مع نصف "نعم" ونصف "لا"، لم يكن ذلك ممكنًا. فإما كل شيء أو لا شيء. وهكذا حصل أخي وزوجته على المزرعة.

1. بدايات

الفصل 1

اليوم: المزاج في باحة أخي

"إما، أو" يقول شقيقي فالديمار ونحن نقف بجوار روبوت الحلب(*)[2] الذي تم تركيبه وتثبيته قبل بضعة أسابيع ليخدم أربعين بقرة - كما في كتيب المصطلحات الفنية المرفق. في المجمل يمكن لمثل هذا الروبوت أن يحلب من ستين إلى سبعين بقرة في اليوم الواحد. حاليًا ما زال الجهاز في مرحلة التجريب والتمرين. زد على ذلك أنه لا يزال يتعين على المرء دفع الأبقار قليلاً للدخول إلى الجهاز، فيما بعد سيذهبن بمفردهن للحلب - طوال النهار وحتى في الليل. وبينما يحلب الروبوت الحليب، تأكل الأبقار العلف الصناعي المركز الذي يتم تقديمه لها اعتمادًا على قراءة البطاقة الذكية الخاصة بها. وحول أعناقهن يتدلى جهاز الإرسال والاستقبال، وهو جهاز مُعيد للبث، يستقبل الإشارة ويبث استجابته. وأمام الحيوان وخلفه، توجد بوابة حديدية تثبته في المكان المناسب للحلب ولا تفتح مرة أخرى إلا عندما ينتهي الحلب ويتوقف تدفق الحليب، وعندها يتوقف خروج العلف أيضًا.

كنت مندهشة.

"إما أن تنمو أو تفسح المجال" يقول فالديمار وهو يريني هذه الآلة الجديدة. كما أضاف أيضًا: "والكبير يفترس الصغير". "لقد كان الأمر هكذا دومًا. ولا يظن المرء أن الأمر يختلف مع المزارع العضوية. التكنولوجيا نفسها والأحجام نفسها".

"إذن. هل تنتمي الآن إلى الكبار؟"

يضحك أخي ضحكة مكتومة ويقول "لا. ولكني لستُ من الصغار جدًا. ليس بعد". ينظر إلى الشاشة الرقمية على ظهر روبوت الحلب الذي يواجهنا ويقول: "من بين عشرين مزرعة في القرية بقي أربعة فقط. لقد استسلم الجميع".

فالديمار هو الأصغر بين هذا الجيل من مزارعي القرية، لم يصل بعد إلى سن التقاعد، ولديه - على عكس الأغلبية هنا - من يخلفه. ابنه يريد أن يكون مزارعًا، وهو كذلك أيضًا. التكنولوجيا الحديثة، مثل روبوت الحلب هذا، يتم تمويلها من خلال القروض التي لا يحصل عليها المرء إلا إذا امتلك أرضًا.

الآن تسقط الحوالب عن حلمات الضرع ويتأرجح ذراع روبوت الحلب جانبًا لإطلاق سراح البقرة وغسل مجموعة الحلب على الفور. تفتح البوابة الحديدية الأمامية، فتترك البقرة مكان الحلب ببطء ودون اندفاع، وما أن تخرج حتى تُغلق البوابة مرة أخرى.

وفقط عندما يتم تنظيف أكواب الحوالب وأنابيب الحليب بالبخار - ولا يستغرق الأمر سوى بضع ثوانٍ - تفتح البوابة الخلفية وتسمح للبقرة التالية بالدخول.

---

[2] الكلمات التي ميزت بعلامة النجمة (*) سيتم شرحها في مسرد المصطلحات ص 471 [من الطبعة الألمانية].

"بجوارنا"، يقول فالديمار وهو يشير إلى المزرعة المجاورة "يتم الآن إنتاج الكهرباء، أي بالغاز من الكتلة الحيوية؛ حيث يتم تحويله إلى كهرباء وتخزينها في الشبكة. أما الخنازير التي يبقونها هناك فتكاد تكون مجرد شيئًا هامشيًا. نعم هي من ناحية تعد أساس هذا العمل في الكهرباء، تمامًا مثل تلك الذرة المزروعة هناك، لكن بيع الخنازير لا يعود إلا بأموال قليلة، أقل من هذا القرف - آسف - الذي يصنع الكهرباء".

للحظات وقفنا صامتين نستمع إلى أصوات الآلة؛ الشفط والأزيز والدمدمة والهدير. تتأرجح ذراع الروبوت تحت بطن البقرة الجديدة، يرفع فوهة أسفل الضرع مباشرة فترشه بسائل مطهر، وعندها فقط تقترب أكواب الحوالب المغسولة قبل ذلك مباشرة وتشفط حلمات البقرة واحدة تلو الأخرى وتثبت عليها. وفي هذه الأثناء تبدأ البقرة في الأكل.

سألته: "كم تحتاج من روبوتات الحلب لكم من الأبقار حتى تكون قادرًا على التسليم في بضع سنوات؟" فتسليم المزرعة للجيل التالي يضمن أو يعني أن الجيل التالي يمكنه أن يدفع شيخوخة سلفه، أي سكن مدى الحياة، وأيضًا الطعام وقليل من المال، تمامًا كما فعل أخي وزوجته آنة مع والدينا.

لوّح أخي قائلاً: "السؤال الآن هو ما مقدار الأرض التي يمكننا تحمل تكلفتها لإنتاج علف كافٍ للماشية والتخلص فيها من روث(*) تلك الماشية. المزيد والمزيد من كبار منتجي الكهرباء يشترون الأراضي ويؤجرونها. وعلى الرغم من أن عددًا كبيرًا من المزارعين يستسلمون، وأن الكثير من الأراضي في السوق، إلا أن الأرض، علم الله، تصبح وباستمرار أكثر تكلفة".

ومباشرة خطر ببالي أن عملية التسليم للجيل القادم قد لا تتم بعد الآن، فأخذت نفسًا عميقًا.

لكن فالديمار سئم من أسئلتي. وقف عند باب منطقة الحلب، ثم فتحها فأصبح نصفها في الخارج بينما كان يقول: "هكذا هي الأمور. أنتم جميعًا تريدون الطاقة الحيوية. لكنكم لا تعرفون شيئًا".

كلمة "أنتم" هنا تعني دومًا كل سكان المدن - أو على الأقل كل أولئك الذين لا يمارسون الزراعة. وإلى "أنتم" هذه كنت انتمي أنا أيضًا ومنذ سنوات طويلة.

في طريقي إلى المنزل مررت بجوار العجول الصغيرة وهي تمد رؤوسها بفضول عبر بوابة العلف، وقد رافقتني بعض القطط حتى باب البيت الأمامي.

أما الكلبة الصغيرة فذهبت مع أخي.

منذ بضعة أيام وأنا أستيقظ في السادسة صباحًا، مع الآخرين كلهم، كي أرى وأسمع وأشم كيف تبدو الحياة الزراعية اليوم في المزرعة التي نشأت فيها. أرتدي ملابس الحظيرة وأذهب للخارج. فقط بعد أيام قليلة أدركت أنه ليس عليّ أن أرفع نظري لأعلى كي أرى السماء. فلا بيت في الطريق يحجبها. وعلى الفور تعرف إن كانت تمطر أو سوف تمطر، بل وتعرف على الفور أيضًا كيف تهب الريح، وكيف تنداح في العينين والأذنين والأنف.

أذهب معهم إلى الحظيرة، ولكن فقط معهم - مرة مع زوجة أخي آنة، المسؤولة عن العجول، ومرة مع أخي، الذي يقف في قاعة الحلب القديمة، ومرة مع ابنه هانيس، الذي يعتني بالتغذية ويتحكم في الروبوت. لا يمكنني المساعدة، لا توجد حركة بالطريقة التي كنت أعرفها. المباني

والآلات كل شيء مختلف. لكن شروق الشمس على الأشجار والمراعي أمام الفناء هو نفسه. ودائمًا ما كان أقوى ضوء في الصباح على الممر أمام الإسطبل. ودائمًا ما كانت بعض القطط، صغيرة وكبيرة، تتجول أمام قاعة الحلب، ودائمًا ما كان الكلب يرقد بالقرب منها، شديد الحرص والانتباه ألا يهرب منه شيء، وبصفة خاصةً عدم وجود طعام في الوعاء المجاور المملوء. وما زال الإسطبل كائنًا واحدًا كبيرًا؛ المكان الذي تتنفس فيه الحيوانات، تأكل، وتهضم، وتجتر، وتخرج إفرازاتها وتنام، مكان راحتها ولا راحتها أحيانًا. وهو أيضًا مكان سير العمل المتشابك.

أمشي هناك، عبر معالف التغذية وعلى طول الحواجز، أما الحيوانات، فقرابة مئة بقرة وربما أربعين عجلاً صغيرًا، برؤوس منحنية ينظرون إليّ بفضول.

كل شيء منظم تحت سقف واحد. هناك منطقة يُسمح فيها للأبقار العرجاء، أو غير اللائقة لأسباب أخرى، بالسير والاستلقاء على القش، أي أنها غرفة للمرضى إذا جاز التعبير، ومن خلال البوبات التي تفتح وتغلق، والتي تمثل نظامًا للحظيرة بكاملها، يمكن توجيهها إلى منطقة الحلب، ثم العودة بها من هناك إلى منطقتها الخاصة. وبجانبها تقف الأبقار التي ستلد قريبًا على القش وهي "جافة" - على العكس من "أبقار الحلب". ربما ولدت واحدة أو اثنتان بالفعل، وبالتالي يوجد بينها عجل حديث الولادة يقف على ساقين مرتعشتين ويبحث عن ضرع أمه. اليوم يوجد بالفعل اثنان أحيانًا ما يتوهان فيذهب أحدهما للبقرة الخطأ، لكن الأم تجده دومًا. لقد تأثرت برؤية الأبقار الأخرى وهي تشم رائحة الصغار بطريقة ودية، وبدا أن لديها فضول كبير لمعرفة كيف يقوم أحدهما ببعض القفزات التجريبية، بينما تخور[3] شفقة على الآخر. وفقط تتجنبهما الأبقار عندما يحاولان الرضاعة منهن.

أكبر مساحة في الحظيرة هي التي يتم فيها تقسيم "أبقار الحلب" مرة أخرى إلى المنطقة التي يوجد بها "قطيع الروبوت" والمساحة الأكبر التي لا يزال يتم فيها الحلب التقليدي. فكما قيل يمكن للروبوت أن يحلب من ستين إلى سبعين بقرة فقط - وليس بالإمكان الآن الحصول على روبوت آخر للحلب ربما بعد سنوات قليلة. الأبقار التي يتم حلبها بشكل تقليدي تُساق في الصباح والمساء إلى منطقة يمكن فصلها تقع أمام قاعة الحلب مباشرة. تُغلق البوابة خلفها مرة أخرى، وذلك حتى يتم الفصل بين الأبقار التي لم تحلب بعد وتلك التي حُلبت وعادت إلى مكانها في الحظيرة.

مررت بالكلب والقطط متجهة إلى قاعة الحلب، وصعدت حيث فالديمار وآنة في مكان الحلب المنخفض. إلى اليمين واليسار تقف أربع بقرات في كل جانب على ارتفاع يساوي ارتفاع الكتف، وكل واحدة منهن مثبتة في مكانها بواسطة قضبان. يضعان معدات الحلب على ضرعهن ويرتديان إبان ذلك القفازات ليحميا أنفسهما والحيوانات من الجراثيم والفطريات. وقد نظرا إليّ كما يمكن أن يقال بأطراف الأعين، والآن يجب أن انتبه جيدًا حتى لا أقف في طريقهما.

---

[3] صوت البقرة يسمى في العربية "خوار" (المترجم).

من مجموعة الأبقار التي لم تحلب بعد، تأتي البقرة التالية عبر باب سحاب عندما يتم الانتهاء من البقرة السابقة. ويتم تشغيل الأبواب وبوابات القضبان من قاعة الحلب وذلك بواسطة الحبال وبشكل آلي نوعًا ما. تُساق البقرة التالية إلى مكانها عن طريق هذا النظام المسيطر لفتح البوابات وإغلاقها، وعندما تصل إلى مكانها يصبح ضرعها، كما قلت، على مستوى كتف الحالبين، وفي بضع خطوات بسيطة يتم رشه ومسحه ووضع الحوالب عليه وحلبه.

إذا حدث مرة ولم تدخل البقرة التالية مباشرة إلى قاعة الحلب بعد فتح بابها، يصعد أخي أو زوجته سلمًا معدنيًا، ويمر عبر باب ضيق إلى مكان الأبقار التي لم تُحلب بعد ويقود البقرة أي بقرة إلى قاعة الحلب. وهذه تكون عادة الأبقار الجديدة أو الخجولة أو تلك التي غالبًا ما يتم دفعها جانبًا من قبل الأبقار الأعلى مرتبة. بسرعة ولكن بهدوء أيضًا، يعود من ذهب منهما إلى مكان الحلب المنخفض ويتحقق من أي من الأبقار الثمانية التي يتم حلبها معًا قارب على الانتهاء حتى يمكن إزالة الحوالب أي مجموعة الحلب عنها، ويتحقق أثناء ذلك إذا ما كان المؤشر الزجاجي بين الحوالب الأربعة والخرطوم يشير إلى أن كل حلمة تحلب فعليًا ويتحقق بطرف عينه من المؤشر الرقمي لكمية الحليب. هناك أبقار "تحبس" حليبها، ربما لأنها مريضة أو تطلب التَّعْشِير أو لأي سبب آخر. الأبقار حيوانات حساسة وعلى المرء أن يراقبها كثيرًا، خاصة مع وجود قطيع كبير، حيث لا توجد إلا بضع دقائق أثناء الحلب لتفقد كل واحدة على حدة.

أسجل أنك لم تعد مضطرًا إلى الانحناء - كما لم تعد بحاجة إلى حمل الحليب. فيما سبق اعتدنا أن نجلس على كرسي للحلب بشكل ملاصق للبقرة، نسند رأسنا على خاصرتها، وأيدينا على الضرع أو على مجموعة حلب البقرة التي تكون مقيدة في الحظيرة - في الشتاء تقف في المكان نفسه لمدة خمسة أو ستة اشهر. وعندما يتم حلب البقرة ونضع الغطاء مع النابض، الذي يجعل الحلب متناغمًا، على دلو آخر، ونجهز البقرة التالية يدويًا للحلب، ثم نضع لها مجموعة الحوالب، وبعدها نمسك بالدلو الممتلئ بالحليب ونسرع به من خلال ممر الروث إلى غرفة الحليب، ونرفع الدلو لأعلى ونسكب الحليب من خلال مصفاة في الخزان، وبعدها نرجع سريعًا، كل هذا طبعًا مع الحرص على عدم الانزلاق بسبب الروث الموجود في الممر. وهكذا باستمرار حتى يتم حلب عشر بقرات، وفيما بعد عشرين ثم ثلاثين بقرة.

الآن يتم نقل الحليب مباشرة من الضرع إلى الخزان من خلال نظام الأنابيب المخصص لهذا. وهنا يسود بالطبع حذر شديد بهدف الحماية من البكتيريا. وفي نهاية عملية الحلب يتم رش الضرع مرة أخرى بمحلول مطهر. ثم يفتح فالديمار البوابة الأمامية لقاعة الحلب بواسطة السحّاب، هذا بينما تفتح البوابة الخلفية في الوقت نفسه للسماح بدخول المجموعة التالية من الأبقار. كيف يسير أخي وزوجته ذهابًا وإيابًا في هذا المكان المنخفض – وأنا أحاول ألا أزعجهم قدر الإمكان – وهم يراقبون كل شيء، وحركات أياديهما تتم بسرعة وكفاءة بل وأناقة راقصة، هذا رغم كل هذا الإزعاج والتشويش المحيط بهما. هنا تقوم بقرة بضرب إناء الحلب عدة مرات، وبقرة أخرى كان إناء الحلب الخاص بها معلقًا بشكل منخفض جدًا ويجب تدعيمه، ولكن في هذه اللحظة بالضبط تنزلق قطعة الدعم من الخشب أو البلاستيك ويسقط الإناء على الأرض فتدهسه البقرة المتوترة. في مثل هذه الحالات تثبت قيمة ما تعلمه كل من يعمل مع الحيوانات: وجود مسافة، حركات بطيئة، صوت هادئ، إيماءات واضحة للتهدئة أو للتوجيه.

يبدو الأمر بالنسبة لي كما لو أن الوتيرة المتمهلة لمثل هذه الحيوانات الكبيرة قد انتقلت إلى البشر الذين يعملون معها. وهنا تحديدًا استعدت مرة أخرى ما تعلمته عندما كنت طفلة صغيرة. لقد بقي معي بالفعل.

بعد فترة رأيت من ممر العلف ما تفعله الأبقار عندما تعود من الحلب. فكثير منهن يذهب أولاً إلى مكان الشرب ويشرب جرعات كبيرة منه. بينما تذهب بعضهن إلى ممر العلف مباشرة ليرين ما إذا كان هناك علف طازج قد وضع في هذه الأثناء، وربما تمشي إحداهن وجهاز مُعيد البث حول عنقها حتى نقطة توصيل العلف المركز وتحاول معرفة ما إذا كانت الآلة قد تقدم لها العلف بعد قراءة سريعة لرقم الكود الخاص بها، ولكن لا يتم تقديم أية تغذية أثناء ما يسمى بالحلب التقليدي. وقد تخطو أخرى تحت إحدى الفُرَش الكبيرة التي تتدلى من سقف الحظيرة، وتمشي تحتها لتفريش ظهرها وجوانبها؛ بينما قد تنجذب التالية إلى الملح المعدني لحجر اللعق، والذي تلعقه بلسانها القوي. وربما تبحث إحداهن عن صديقة لها، وكل الأبقار من نفس الرتبة صديقات، لتلعق رقبتها أو رأسها أو لتُلعق من قِبلها.

أجد صعوبة في مشاهدة ذلك دون تحريك يدي، هذا بينما يسرع فالديمار وآنة وابنهما هانيس على ممرات عملهم لسقي العجول، وحلب الأبقار، وإطعام الماشية الصغيرة.

كان فالديمار في مزاج سيء. وبعد الانتهاء من الحلب جلسنا على مائدة الإفطار، كان يقرأ الجريدة. لم يزعجه أنهم عملوا لساعتين قبل تناول القهوة، وأنهم اهتموا برعاية الماشية أولاً، وأن هذه الرعاية تستغرق رغم روبوت الحلب ساعتين باستمرار، ولأن الكثير من هذه الحيوانات دعَّم نفسه بنسله، أي جاء بالعجول الأولى، فقد نما القطيع وزاد بالتالي عدد العجول التي يجب إطعامها والعناية بها. هذا بالطبع ما أراده هو: "النمو". وبالتالي فارتفاع عبء العمل هو فقط النتيجة الطبيعية لذلك النمو.

أخذ أخي الخبز من المحمصة، ووضع شريحة واحدة على طبقه، ثم رمي بالأخرى بقوة إلى طبق الخبز في وسط الطاولة، ولكنها وقعت بجانبه. نظرت وزوجة أخي إلى بعضنا البعض في صمت. أخذت أنا شريحة الخبز، وأعطته آنة القهوة في الكوب الذي يحمله.

كنا نمضغ ونشرب القهوة ونناول بعضنا البعض هذا وذاك.

أثنيت على مربى اليقطين.

فقالت آنة إن إحدى بناتها أحضرت قدرًا كبيرًا من اليقطين كان قد تم قطعه بالفعل. ولذا كان عليها معالجته على الفور، فصنعت منه تلك المربى للتو أيضًا. بالطبع أنا معجبة بكيفية ابتكارها - مرة بعد أخرى - لشيء جديد. وأيضًا كان خبز اليقطين اللين المصفر ناجحًا.

بعد فترة قلت له: " حسنًا. وأين المشكلة بالضبط؟".

نفخ فالديمار بحنق، وقال فقط: "من الأفضل أن تسألي أين لا توجد مشكلة". ثم عاد لقراءة الصحيفة مرة أخرى. وأخيرًا دفعها إليّ وقال: "اقرأيها أنت بنفسك".

سيتم إنشاء أراضٍ رطبة جديدة في ولاية سكسونيا السفلى وسيتم إعادة تشكيل الأراضي الرطبة. يجب السماح للمياه بغزو المراعي مرة أخرى؛ وذلك لصالح التنوع البيولوجي للنبات والحيوان.

وتحكي الصحيفة أن المناقشات محتدمة حول الأمر. وتنقل حجج المؤيدين والمعارضين، ولكنها لا تنحاز للفلاحين. أدهشني أن يقال هذا في منطقة تهيمن عليها الزراعة مثل منطقتنا هذه.

لكن عندما قلت هذا، نظر أخي إليّ بغضب ولم يزد.

"ماذا تظنين إذن؟ وأين تعيشين؟ لقد أصبحنا أقلية في القرى منذ فترة طويلة. حتى في الريف تشعر الأغلبية بالانزعاج منّا فقط؛ من أجهزتنا الثقيلة في شوارع القرية والتي لا يمكن تجاوزها، ومن رائحة الحيوانات التي اكتشفوا فجأة أنها تخرج الروث، وكذلك من أكوام علف السيلاج(*) والتي يوضع عليها إطارات جد قديمة قبيحة، وأيضًا من الذرة التي تقف هنا بدلاً من البنجر والشَّيْلَمُ الجميل كما كان الحال فيما سبق... "

لوح بيده وهو يقف، وأكمل وهو يهم بالانصراف: "المهم أن ثلاجاتكم ممتلئة عن آخرها".

قال هذا ثم خرج.

وفي صباح اليوم التالي، وكان الأخير بالنسبة لي، حاولت مرة أخرى أن أجعل من أخي فالديمار بطلاً لقصتي. سألته لكنه قال فقط: "على كل حال هذا لا يهم أي إنسان" ثم هز رأسه ونهض، وأخبر زوجته في أي حقل سيعمل الآن، ومتى سيعود لتناول الغداء. فحص هاتفه الخلوي بحثًا عن أية رسائل، وفي الردهة انتعل حذائه وذهب. وفي هذه الأثناء كان ابن أخي هانيس قد قام أيضًا وخرج معه.

عندما كنت طفلة، كانت المحادثات بيننا تنتهي على هذا النحو أيضًا. كان والدنا ينهض أيضًا ويعود إلى العمل في الاسطبل أو في الحقل.

كان جزءًا من الرسالة دومًا: ألا فائدة من الحديث. أما الجزء الآخر فهو أن العمل لن ينتهي من تلقاء نفسه، وأنه كلما بدأ المرء مبكرًا، كلما انتهى منه مبكرًا أيضًا. هذا على الرغم من أن العمل لم ينتهِ أبدًا. لكن لن يستطيع أحد التفكير في ذلك، بل ولن يريد؛ فهذا بلا فائدة أيضًا.

قمت بتنظيف مائدة الإفطار مع زوجة أخي التي اصطحبتني إلى محطة القطار فعدت إلى المدينة.